الإعجام والشكل في المصاحف وأثره في توجيه التفسير

Al-Ijam and Form in the Qur'an and its Effect on Directing Interpretation

رضا خوشي[1*]، عاشور مزيلخ[2]

[1] جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية –خروبة، الجزائر

redhakhouchi1@gmail.com

[2] جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية –خروبة، الجزائر

mezilakh@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/12/08 تاريخ القبول: 2022/04/24 تاريخ النشر: 2022/06/14

الملخص:

تعتبر المصاحف العثمانية التي كتبت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه القالب الذي كتب فيه القرآن الكريم، وأصبحت موافقة تلك المصاحف شرطا لقبول القراءات القرآنية. ومرت كتابة المصاحف بمراحل كثيرة من التحسين دون المساس بجوهر رسم الحروف.

وجاء هذا البحث في شقه الأول ليتعرض لأحدى تلك المراحل الهامة؛ ألا وهي: مرحلة إعجام حروف المصاحف وإشكالها إصطلاحا وتاريخا. أما الشق الثاني فخصص للحديث عن تأثير الإعجام والشكل في توجيه تفسير القرآن الكريم؛ دون الالتفات والاعتماد إلى احتمال الرسم للقراءات؛ إذ إن كل ما اختلف في إعجامه وشكله راجع إلى اختلاف القراءات فيه، مع تدعيم هذا المبحث بنماذج تطبيقية لهذا التأثير في تفسير الآيات القرآنية.

وما توصل إليه البحث أن النقط بالإعجام والشكل أصبح واجبا ومن مظاهر الكتابة العربية اللازمة، التي لا يمكن أن تفارقها. كما أن للنقط بنوعيه أثر في توجيه تفسير القرآن الكريم، وسبب من أسباب اختلاف أوجه التفسير. بالإضافة إلى إمكانية استغناء التفسير عن القراءات إذا ثبت وصح النقط.

الكلمات المفتاحية: الإعجام؛ الشكل؛ المصاحف؛ الأثر؛ التوجيه؛ التفسير.

* المؤلف المرسل

Abstract:

The Ottoman Qur'anic Qur'an, which was written during the reign of Caliph Othman Ibn Affan, may God be pleased with him, is considered the template in which the last Qur'anic revelation was written. These Qur'ans witnessed a lot of change and addition without compromising the essence of drawing the letters.

This research came in its first chapter to discuss one of the changes that occurred in the Qur'an. Namely: the irregularity of letters and their forms, idiomatically and historically. As for the second part, it was devoted to talking about the effect of lexicon and shape in directing the interpretation of the Noble Qur'an. without heeding and counting to the probability of drawing for the readings; As everything that differed in its inaccuracy and form is due to the different readings in it, with the reinforcement of this topic with applied models for this effect in the interpretation of the Qur'anic verses.

What the research found is that dots in lexicon and shape have become obligatory and one of the necessary manifestations of Arabic writing, which cannot be separated from it. The two types of points also have an impact in directing the interpretation of the Qur'an a lot, and one of the reasons for the different aspects of interpretation. In addition to the possibility of dispensing with the interpretation of the readings if the points are proven and true.

Keywords: leprosy dots; the shape; the Qurans; Interpretation

1.مقدمة:

جمع القرآن الكريم في مرحلته الأولى زمن الخليفة أبي بكر الصديق . رضي الله عنه . في الصحف بعدما كان مكتوبا كله في عهد النبوة غير مرتب السور. ثم أمر الخليفة عثمان بن عفان . رضي الله عنه . بكتابته في المصاحف ولم يكن مشكولا ولا منقوطا؛ لعدم الحاجة إلى ذلك أو ليحتمل الحرف الذي أبقاه عثمان . رضي الله عنه . من الحروف السبعة التي أنزل عليها القرآن الكريم.

وبفعل الفتوحات اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخلت الشعوب الأعجمية في الإسلام أفواجا، ففسد اللسان العربي وفشا اللحن، وانتقل ذلك إلى قراءة القرآن الكريم، مما دفع أهل اللغة إلى وضع النقط الذي عبر على الحركات أولا ثم دل على حركات الحروف وإعجام الحروف المتشابهة، وأخيرا انحصر في الإعجام، وظهر الشكل المعبر على الحركات.

من هنا جاء هذا البحث ليفصل في هذا النقط، ويبين أثره إعجاما وشكلا في توجيه تفسير القرآن الكريم، من خلال تطبيقاته على آيات قرآنية. وبالتالي تكون إشكالية البحث هي: ماهية النقط وأشكاله وكيف أثر في توجيه المفسرين ؟

وقد وضعنا لذلك الفرضيات التالية:

-نقط المصاحف الباعث الأول على إحداث النقط في الكتابة العربية.

-اللحن في القراءة السبب المباشر للنقط.

-للإعجام والشكل أثر في توجيه التفسير.

كما اعتمد البحث على منهج الوصف لمعرفة أشكال النقط وأنماطه، ومنهج التحليل لدراسة ظاهرة النقط واستخلاص النتائج، وكذلك منهج الاستقراء الخاص بمبحث أثر الإعجام والشكل في توجيه التفسير.

وجاء البحث ليتوصل إلى الأهداف التالية:

- التعريف بالنقط ومراحل تطوره.
- إحداث النقط في المصاحف وبيان موقف العلماء من ذلك.
- التطبيقات التفسيرية للإعجام والشكل في المصاحف.

2.النقط في المصاحف:

يعتبر السريان[1] أول من وضع الشكل في لغتهم، وذلك لما اعتنقوا النصرانية ونقلوا كتب الإنجيل إلى لغتهم، رأوا أن بعض الناس يلحنون في قراءتهم لها، فخافوا تحريف التعاليم والمعاني، فاخترع لهم أحد الأساقفة يدعى يعقوب الرهاوي (ت 460م) نقطا يوضع في حشو الحروف[2]. هذا الأمر وقع في المصاحف التي كتب فيها القرآن الكريم لما اتسعت الدولة الإسلامية، وترامت أطرافها شرقا وغربا؛ فدخل اللحن والخطأ في قراءة القرآن الكريم؛ فكان ذلك دافعا إلى نقط تلك المصاحف.

وقبل الخوض في نشأة النقط وتطوره وتنوعه، يتعين علينا شرح المصطلحات الثلاث: النقط، الإعجام، والشكل.

2-1 تعريف النقط، الإعجام، الشكل:

2-1-1 تعريف النقط:

هو ما يميز بين الحرف المعجم والمهمل الدال على ذات الحرف، وما يدل على عوارض الحرف التي هي الحركات كالفتح والكسر والضم والسكون والشد والمدو غيرها[3]. وهي الطريقة التي اتبعت للشكل والإعجام أولا؛ وهو مأخوذ من علامة النقطة (●). فكان أولا يوضع على الحروف ليدل على شكلها؛ فوضعها فوق الحرف فتحة، ووضعها تحته كسرة، ووضعه أمام الحرف ضم. ثم استعمل لإعجام الحروف المتشابهة لإزالة اللبس، وفي الصورة النهائية التي عليها اليوم بقي يدل على الإعجام دون الشكل؛ الذي اصطلح له طريقة أخرى سيأتي بيانها[4].

2-1-2 تعريف الإعجام:

إزالة العجمة والإبهام عن الحروف المتشابهة، كالفاء والقاف والسين والشين والصاد والضاد وغيرها من الحروف التي تتشابه صورها[5]. وقد قيل: "لكل شيء نور ونور الخط العجم"[6]. وقالوا: "إعجام الكتب يمنع من استعجامها"[7].

2-1-3 تعريف الشكل:

هو بيان الحركات التي على الحروف؛ لإزالة إشكالها ومعرفة بنيتها الصرفية والنحوية[8]. قالوا: الشكل للحروف يصون من إشكالها [9]. وقال مجاهد: " الشكل سمة للكتاب كما أن الإعراب سمة لكلام اللسان، ولولا الشكل لم تعرف معاني الكتاب " [10].

2-2 نشأة النقط في المصاحف وتطوره:

كان لدخول الأعاجم في الإسلام أثره البين على اللسان العربي، حيث كثر اللحن في اللغة، وامتد إلى القرآن الكريم، وانتدب لأجل حلّ هذه المعضلة لُغوي الأنام ونحويّ الإسلام آنذاك أبو الأسود الدؤلي[11]، الذي ابتدع نقطا جديدا لضبط الكلمات القرآنية.

2-2-1 نقط أبي الأسود الدؤلي:

اقتصر جهد أبي الأسود الدؤلي على جعل النقط على الحروف لتدل على الحركات دون إعجامها؛ أي أنه أشكلها، وبقيت الحروف الساكنة والمشددة والمهموزة، تطرح إشكالا في تصويرها، وكذلك الحروف المتشابهة لا زال التفريق بينها يشق على غير عربي اللسان[12].

كان الدؤلي قد تصدى من قبل للحن الذي فشا على ألسنة الناس؛ فوضع علم النحو بتوجيه من الخليفة علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . ثم ما لبث هذا اللحن والخطأ يظهر من جديد؛ ولكن هذه المرة على مستوى القراءة، فطلب منه زياد بن سمية والي البصرة أن يضع للناس طريقة يصلح بها الألسنة فأبى عليه؛ توجسا للتعرض للقرآن الكريم المكتوب منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان . رضي الله عنه . في المصاحف. فاهتدى الوالي المعروف بدهائه إلى حيلة يستدرجه بها، فأمر أحد عماله أن يقعد له في طريقه، ويقرأ قوله تعالى: (أن الله برئ من المشركين ورسوله)، بخفض (رسوله). فلما سمعه الدؤلي قال: "عزّ وجل الله أن يبرأ من رسوله". فأجاب داعي الوالي، وعزم على إعراب القرآن الكريم كله، وسأله أن يبعث له بكتّاب؛ ليختار منهم واحدا حاذقا ماهرا[13]. وجاء نقط الدؤلي في شكله العام على النحو التالي[14]:

– الاعتماد على حركة الشفاه، فأمر الدؤلي الكاتب أن يضع نقطة فوق الحرف كلما فتح الدؤلي فمه بالحرف، ونقطة من أسفل إذا كسر شفتيه، وواحدة بين يدي الحرف إذا ضمهما، وعند سماع غنة عند الحرف (التنوين) ينقط نقطتين.

– استعمل للنقط أشكالا متعددة منها: النقطة المربعة (◆)، النقطة الدائرية المطموسة (●)، النقطة المدورة الخالية الوسط (**O**).

– وضع علامات ثانوية للشكل، فجعلوا للسكون جرة أفقية فوق الحرف منفصلة عنه، ولألف الوصل جرة في أعلى متصلة بها إن سبقت بفتح، وفي أسفلها إن سبقت بكسر، وفي وسطها إن كان قبلها ضمة.

– وجرى العمل الأول خاصة عند أهل الأندلس على استعمال أربعة ألوان، السواد للحروف، والحمرة للشكل، والصفرة للهمزات، والخضرة لألفات الوصل، وكلها بطريقة النقط[15]. واقتصر هذا النقط على كتابة المصاحف فقط دون غيرها من الكتابات الأخرى.

2-2-2 نقط الحجاج بن يوسف الثقفي:

لم يكن نقط الدؤلي إلا حلا جزئيا؛ إذ ظهرت إشكالية الحروف المتشابهة؛ وهو ما يسمى بالتصحيف. فانتدب الحجاج بن يوسف الثقفي يحي بن يعمر[16] من المغرب ونصر بن عاصم الليثي[17] من المشرق لهذه المهمة. وهما عالمان كبيران في اللغة تتلمذا على يد أبي الأسود الدؤلي. فتدارس العالمان الأمر وقررا: الإبقاء على نقط الدؤلي، وإدخال نقط آخر، مع التفريق بين النقطين باللون. فجعلا لنقط الشكل (النقط الأول) لون المداد الأسود؛ وهو لون الحروف؛ حيث اعتبرا الشكل جزءا من الحرف، واختارا لونا آخر غير السواد لبيان نقط الإعجام[18]. أما عن طريقة هذا النقط، فسلك العالمان طريقة محددة تقوم على ما يلي:

– إعادة ترتيب الحروف ترتيبا أبجديا حسب مخارج الحروف (أ ب ت ث ج ح خ ....) بخلاف الترتيب الأول؛ وهو الترتيب (أبجد هز حطي....).

– إهمال الحرف الأول من المتشابهين وإعجام الثاني.

– إعجام كل الحروف المتشابهة عند اللبس والاشتباه بحروف أخرى.

– استعمال نقط إفراديا وزوجيا.

– ينقط الحرف من فوق إذا كان أول اسمه مفتوحا، نحو: الخَاء، الذَال. وينقط من تحت إذا كان أول اسمه مكسورا، نحو: الجِيم. وتختل هذه القاعدة عند مخافة الالتباس. فجاء النقط في عمومه على النحو التالي:

– إهمال الدال والراء والحاء والصاد والطاء، وأعجمت الذال الزاي والجيم والخاء والضاد والظاء؛ بنقط إفرادي.

– ولتمييز السين عن الشين أهمل الأول، وأعجم الثاني على القاعدة إعجاما زوجيا على حسب عدد أسنان الحرفين، إذ لو أعجمت بواحدة لالتبس أن الجزء الذي تحت النقطة نون، والسنن الباقية حرفان كالباء والتاء مثلا.

– أما الباء والتاء والثاء والنون والياء، فلم تهمل أي منها على القاعدة، وإنما أعجمت كلها؛ لمنع اشتباهها بالسين والشين عند اجتماعها في الكلمة الواحدة، كمثل: سيتنقلون، سيشتبه.

– أما اختلافهم في الفاء والقاف فغير مبرر وخروج عن القياس السابق؛ لو احتكمنا إلى القاعدة. فالمغاربة نقطوا الفاء من تحت، وكان حقها الإهمال . والقاف من فوق، كله بنقطة واحدة. والمشارقة نقطوا الفاء بنقطة واحدة، والقاف بنقطتين، وكله من فوق الحرفين. ومن هنا جاء النقط المغربي والمشرقي، فقيل إن المشارقة أخطأوا في الفاء وأصابوا في القاف. وأرجع البعض هذا الاختلاف في

النقط إلى النقلة الذي رووا نقط الإمامين[19]. وعند الانتهاء من وضع تصميم النقط قررا اتخاذ المداد الأحمر لنقط الشكل الذي وضعه الدؤلي، ويكون نقط الإعجام الذي أحدثاه بالمداد الأسود على مداد الحروف[20]. وذهب جرجي زيدان أن الحروف الهجائية لم تعجم كلها في وقت واحد، ولكنهم تدرجوا حسب الحاجة في أزمنة مختلفة، وأن آخر حرف أعجم الياء؛ لتمييز الياء من الألف المقصورة، ومن وضع هذا الإعجام المتأخر الأمريكيون في بيروت أوائل القرن الماضي[21].

ولقد أحدث هذا النقط معارضة شديدة التي كانت تمانع أي مساس بالكتابة العثمانية؛ إصلاحا أو تجديدا؛ مخافة التغيير أو التخليط الذي قد يطرأ على رسم الحروف. وممن نقل عنه كراهة النقط بالأسود وعدم جوازه الإمام الداني الأندلسي. قال الداني: "فأما نقط المصاحف بالسواد من الحبر وغيره فلا أستجيزه، بل أنهى عنه وأنكره إقتداء بمن ابتدأ النقط من السلف، واتباعا له في استعماله لذلك صبغا يخالف لون المداد، إذ كان لا يحدث في المرسوم تغييرا ولا تخليطا، والسواد يحدث ذلك فيه...، ولأجل هذا وردت الكراهة عمن تقدم من الصحابة وغيرهم في نقط المصاحف"[22].

وحين سلّم العالمان المشروع لوالي الأمويين على العراق آنذاك الحجاج بن يوسف وبعد عرضه على الخليفة عبد الملك بن مروان أمر باتباع طريقة الإعجام المستحدثة في الكتابة، وحمل الناس عليها. ثم تعدى ذلك كتابة المصاحف لتعمّ جميع الكتابات، وأصبح إهمال الإعجام الجديد خطأ في الكتابة يستحق فاعله اللوم والتأنيب[23].

2-2-3 نقط الخليل الفراهيدي:

شاع في زمن الأمويين الإصلاح الأول للنقط الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي، والإصلاح الثاني الذي تبعه ووضع قواعده نصر بن عاصم ويحي بن يعمر. وفي زمن دولة بني العباس بدأ الناس يستثقلون النقط الأول؛ نظرا لصعوبة الحصول على صباغ النقط للتمييز بين نقط والإعجام، وكذلك لازدحام عدد كبير من النقاط في الكلمة الواحدة. فحاول البعض توحيد اللون؛ فاعترض سبيلهم اختلاط نقط الشكل بالإعجام، إذ كلاهما نقط بلون واحد. فكان لابدّ من إصلاح ثالث، وذلك بتغيير أحد الإصلاحين السابقين، إما نقط الشكل أو الإعجام[24].

وكتب الله تعالى ألا يخلو زمن من قائم لله بالحجة في هذه الأمة في كل علم من علوم القرآن، فاختلف الناس إلى أعلم الأنام بالعربية وأوسعهم دراية بها، الإمام الخليل الفراهيدي[25]، فكان أهلا لها، ووقع اختياره على تغيير نقط الشكل، فابتدع النقط المستطيل الذي حوى ثماني علامات: الفتحة، الضمة، الكسرة، وهذه مأخوذة من صور الحروف: الألف، الواو، الياء. إضافة إلى: السكون، الشدة،

المدة، الصلة، الهمزة[26]، وسمي هذا النقط بالشكل. ولم يكن اختيار هذا الشكل عبطا وعشوائيا، بل هناك مناسبة بين رموز هذا الشكل (حروف أو بعض حروف) وبين مدلولاتها[27].

اشتهر شكل الخليل ونقط الإعجام الأول وسادا على كل الكتابات إلى يومنا، واندثر النقط الأول وانمحى، ولا نكاد نذكره ولا نراه إلا في المتاحف أين تزينت به المصاحف الأولى. وما نشير إليه أن الشكل والإعجام قد يكون استعماله واجبا في الكتابات، وذلك في القرآن والأحاديث النبوية، ويكون الإعجام دون الشكل واجبا في سائر الكتاب. كما يكره الشكل إلا في ما التبس بغيره أو أبهم. قال مجاهد[28]: "ليس يقع الشكل على كل حرف، وإنما يوضع على ما إذا لم يشكل التبس بغيره"[29].

2-3 حكم نقط المصاحف:

يعتبر نقط المصحف وإعجامه السبب الرئيس في بداية نقط الكتابة العربية وإعجامها؛ وقد مرّ بنا قصة هذا النقط، وتعرفنا من خلالها على الأقوال حول أول من ابتدعه وكيفية تطوره وأنواع هذا النقط[30]. وسنحاول لإتمام الفائدة أن نقف على آراء العلماء في حكم نقط المصاحف.

لم يكن هذا الجدل قائما زمن الصحابة حين كتابة المصحف؛ إذ كان للعرب فصاحة وسليقة في اللسان تمكّنهم من قراءة ما هو مكتوب دون نقط أو إعجام. ولما كثر الأعاجم في الإسلام وفشا اللحن ولجأوا إلى النقط في عهد التابعين، تعالت الأصوات المنددة ولاحت في الأفق المعارضات المستنكرة، كما هي عادة وسنة كل ما هو جديد؛ خاصة إذا تعلق الأمر بأقدس كتاب القرءان الكريم؛ وما ذلك إلا خوف الابتداع والإحداث الذي من شأنه أن يعرض القرءان للتحريف والتغيير بأيدي العابثين، و من هذا المنطلق جاءت المعارضة.

لقد ثبت كراهة نقط المصحف عن الحسن البصري ومحمد بن سيرين ومالك وقتادة وإبراهيم النخعي وغيرهم؛ مستندين على عموم ما روي عن ابن مسعود أنه كان يأمر الناس؛ وخاصة أصحاب الشأن في ذلك وهم الكتبة أن يجرّدوا القرءان من كل ما ليس منه. عن أبي الزعراء: قال ابن مسعود: "جردّوا القرءان "[31].

وعموم النهي هنا يشمل كل ما ألحق بالمصاحف بعد ذلك من نقط وتعشير وتسمية السور وعد الآي. وقد صرح التابعون بذلك. ونقل السجستاني في كتاب المصاحف بسنده أن ابن سيرين كان يكره النقط بالنحو[32]. وذكر الداني أن ذلك كان من ابن سيرين في أول الأمر؛ مخافة الالتباس ببعض الحروف فتُزاد. روى الداني بسنده عن شعبة عن أبي رجاء قال: سألت ابن سيرين عن المصحف ينقط بالنحو، قال: أخشى أن يزيدوا في الحروف[33]. ويؤيد هذا ما روي عن ابن سيرين أنه سئل عن نقط المصحف، فقال: "لا بأس به"[34]. وما ذلك إلا لرضاه وقبوله بالنقط. وممن نهى عن النقط في أول الأمر الحسن

البصري ومحمد بن سيرين. كما ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام أن الحسن البصري ومحمد بن سيرين كانا يكرهان نقط المصحف، ولما وقفا على حقيقة الأمر، وسئلا بعد ذلك فلم يريا فيه بأسا، وأجازاه[35].

وكان الإمام مالك يكره النقط في المصاحف الأمهات ويجيز ذلك في لوح الصبيان التي يتعلمون منها[36].

وممن رخص في النقط كثير من العلماء والقراء، فكان ابن أبي ليلى من أنقط الناس للمصاحف [37]. والكسائي اللغوي القارئ، كان يقرئ الناس؛ وهم ينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم[38]. وعلى ذلك مذهب الليث بن سعد[39].

ومهما يكن فقد تلقت الأمة هذا النقط بالترحيب والقبول، وانشرحت له الصدور، واطمأنت القلوب، وكتب الله تعالى له الاستمرار والبقاء إلى اليوم؛ وما ذلك إلا علامة على رضا الله به، وأنه عمل من أعمال حفظ الكتاب الكريم.

3- أثر إعجام وشكل المصاحف في توجيه التفسير:

سنتحدث في هذا المبحث عن أثر إعجام الحروف المتشابهة بالنقط، والشكل على الحروف؛ وهو ما استقر عليه الأمر زمن الفراهيدي إلى وقتنا الحاضر، في توجيه تفسير آيات القرآن الكريم دون الالتفات إلى احتمال ذلك الإعجام والشكل للقراءات؛ وإن كان الأمر متلازما حتما. ولبيان هذا الأثر سنأخذ نماذج تطبيقية من التفسير.

3-1 أثر الإعجام في توجيه التفسير:

3-1-1 تفسير قول الله تعالى: "وَلَوْ يَرَى الذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ للهِ جَمِيعًا" (البقرة 165):

أعجمت كلمة (يرى) من تحت بالياء فيكون الفعل مسندا إلى الفاعل (الذين ظلموا)؛ وهو مناسب للسياق السابق (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا). وعلى هذا يكون التفسير: فيه وعيد وتهديد الذين قصرت عقولهم عن إدراك هول ما يرون من العذاب كما وقع في قلب النبي ﷺ وقلوب أصحابه. وأما إذا أعجمت من فوق (ترى) فالخطاب موجه إلى النبي ﷺ خاصة وللناس كافة. فيكون تأويله: لو ترى يا محمد الظالمين والكافرين إذ يرون العذاب، وجواب (لو) لرأوا (أن القوة لله جميعا)، بمعنى أنهم شاهدوا مدى قدرة الله تعالى ما جعلهم معه على يقين أنه القوي العزيز[40].

3-1-2 تفسير قول الله تعالى: "هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ".(يونس 30):

كلمة (تتلوا) أعجمت من فوق بالتاء، من فعل تلا يتلو؛ فيكون معنى الآية: يوم القيامة تقرأ كل نفس ما عملت وكسبت في الدنيا مما هو مقيد في كتابها. وقيل معناه: تعاين ما عملت. وقال بعض المفسرين: تتبع كل نفس ما عملت فيهديها إلى طريق الجنة أو النار. وأما إعجام (تبلوا) مع رفع (كلُ) فاعل، بمعنى: تختبرُ كل نفس عمَلها في ذلك الوقت العسير. قال الطبري: "وهما متقاربتان في المعنى؛ وذلك أن من اتبع في الآخرة ما أسلف من العمل في الدنيا، هجم به في مورده، فيخبر هنالك ما أسلف من صالح أو سيء في الدنيا"[41]. وتُنقط (نبلوا) ونصب (كلَّ)، فيعود ضمير الفعل على الله تعالى الذي يختبر باختبار ما أسلفت من أعمالها[42].

3-1-3 تفسير قول الله تعالى: "وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الكَفُورُ"(سبإ 17):

أعجمت كلمة (يُجازى) بالنقط من تحت ياء، وهو فعل لم يسمّ فاعله، ورفع كلمة (الكفورُ). وعليه يكون معنى الآية: لا يجازى أي لا يكافأ إلا الكافور على كفره. فقيل: لم خصّ الكافر دون المؤمن ؟ والجواب: أن المؤمن يجزى بالثواب المضاعف؛ وهو غير المكافأة. وأما النقط من فوق (نجازي) ونصب (الكفورَ)، فيكون فاعل الفعل (الله تعالى) لدلالة نون العظمة على ذلك؛ فيناسب ما قبله "جزيناهم". والمعنى يوضح بعضه بعضا[43].

3-1-4 تفسير قول الله تعالى:"وَجَعَلُوا المَلَائِكَةَ الذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ"(الزخرف 17):

أعجمت كلمة (عند) من فوق لتدل على حرف النون، للظرفية المكانية، وحجة ذلك قوله تعالى: "ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته". (**الأنبياء 19**). وقوله: "إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته". (**الأعراف 20**). وعليه تفسير الآية: أن المكانية تدل على رفع المنزلة والتقريب كقوله تعالى: "ولا الملائكة المقربون". وهذا فيه القرب في المنزلة والرفعة في الدرجة وليس قرب المسافة[44].

أما إعجامها (عباد) بالنقط من أسفل فجمع "عبد". ويكون التفسير: دلالة على تكذيبهم في أن الملائكة إناث وبنات، كقوله تعالى: أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون" **الصافات 150**[45].

3-1-5 تفسير قول الله تعالى: "يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ"(الحجرات 6):

فعلى الإعجام الأول (فتبينوا)، فمن فعل (تبين) بمعنى: التبيين؛ أي تمهلوا حتى تعرفوا الصحة من الكذب. ونقط في مصحف عبد الله بن مسعود بالثاء (فتثبتوا)، من فعل (تثبت) بمعنى: التأني والتريث. والمعنيان متقاربان، فيكون الإعجام هنا لتنوع المعنى وبيانه، فالتريث قبل التصديق بالنبإ والتبين من صدقه. قال الإمام الطبري في تفسيرها: " فتبينوا بالياء، بمعنى: أمهلوا حتى تعرفوا صحته، لا تعجلوا بقبوله، وكذلك معنى (فتثبتوا) "[46].

3-2 أثر الشكل في توجيه التفسير:

3-2-1 تفسير قول الله تعالى: "فَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَهُ ". (البقرة 222):

الشكل الأول في كلمة (يَطْهُرْنَ)، بضم الهاء وتخفيفها، من فعل (طَهُر) بمعنى: الطهارة من الحيض بانقطاع الدم. ويترتب عليه الحكم الفقهي: لا تقربوا النساء حال الحيض حتى ينقطع عنهن الدم ويطهرن، ولا يشترط الغسل. فإذا أشكلت (يَطَّهَّرْنَ) بفتح الهاء وتشديدها؛ فتكون من فعل (تَطَهَّر) بمعنى: الطهارة بالغسل. والأصل: يتطهرن، فأدغمت التاء في الطاء. فيختلف الحكم الفقهي ليشترط الغسل بعد انقطاع الدم[47].

3-2-2 تفسير قول الله تعالى:"مَا تَنَزَّلُ المَلَائِكَةُ إِلَّا بِالحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ"(الحجر 8):

شكل الفعل (تُنَزّلُ) بناء على المجهول، فيكون (الملائكةُ) بالرفع نائب الفاعل. وشكل ثانيا (تَنَزَّلُ) بفتح التاء والزاي ورفع (الملائكةُ) على الفاعلية، وأصله: تتنزل. وشكل أيضا (نُنَزِّلُ) بضم النون وكسر الزاي، ونصب (الملائكةَ) على المفعولية. والجمع بين الأشكال في التفسير: أن البناء على المجهول في الشكل الأول ليحيبهم على طلبهم. هل تأتينا بالملائكة؟. ثم كان الشكل الثاني والثالث ليفصح عن فاعل التنزيل. ومن ينزلها ؟ أو هل تتنزل بأمرها ؟ فيكون الجواب: تتنزل ولكن بأمر ربها؛ لقوله تعالى: "لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون".[48]

3-2-3 تفسير قول الله تعالى: "فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتَهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا" (مريم 24):

اختلف الشكل في حرف (من)، فأشكل (مِنْ) بكسر الميم على أنه حرف ابتداء متعلق بفعل (فناداها)، وجرّ (تَحتِها)، وعليه يحتمل تفسير الآية: الفاعل جبريل نادى جبريل عليه السلام مريم عليها السلام من مكان تحتها أسفل منها، كما يصح أن يكون الفاعل عيسى عليه السلام نادى أمه لما خرج من بطنها[49]. وأما الشكل الثاني في الحرف بفتح الميم (مَن) وفتح (تحتَها) على الظرفية؛ فيكون اسما موصولا فاعل ناداها، وعليه تفسير الآية: فناداها الذي تحتها وهو ابنها عيسى عليه السلام؛ لأنه يعود على أقرب مذكور (فحملته). قال الطبري: "(فناداها مَن تحتَها) وبفتح التاءين من تحت، بمعنى: فناداها الذي تحتها على أن الذي تحتها عيسى، وأنه الذي نادى أمه"[50].

3-2-4 تفسير قول الله تعالى: "في بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ". (النور 36):

أشكل الفعل (يُسبِّحُ) فيكون فاعله (رجالٌ) وعليه لا يوقف على (الآصال) وإنما الوقف على (رجال)، ويكون تفسير الآية: يسبح له فيها أي يصلي له فيها بالغدو والآصال رجال. وإذا أشكل (يُسَبَّحُ) لم يسمّ فاعله، وعليه يوقف على (الآصال) ويبتدأ بـ (رجال) على الاستئناف متعلق بما بعده؛ ويرفع بفعل مضمر بمعنى: يسبحه رجال فيكون مفسرا للفاعل المحذوف قبل. ويكون تفسير الآية: يُسبَّحُ اللهُ في البيوت التي أذن الله أن ترفع، فسبَّح له رجال[51].

3-2-5 تفسير قول الله تعالى: "وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ" (إبراهيم 46):

جاء فعل (لِتزولَ) مشكولا بكسر اللام الأولى على أنها لام الجحود، وفتح اللام الثانية على نصب المضارع. وعليه يكون تفسير الآية: وما كان مكرهم ليُزيل الجبال عن موضعها، فنسب الفعل للجبال جوازا. وأما الشكل الثاني للفعل (لَتزولُ) بفتح اللام الأولى على أنها لام ابتداء، ورفع الثانية للمضارع. ويأتي على ذلك تفسير الآية: ومن عظم مكرهم زالت أو كادت تزول الجبال بعد ثباتها؛ وعلى هذا المعنى كتب في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه المخالف للمصاحف العثمانية المعتمدة " وإن كاد مكرهم لَتزولُ منه الجبال"[52].

الشكل 1: ورقة مصحف غير منقوط – سورة الفلق والناس –

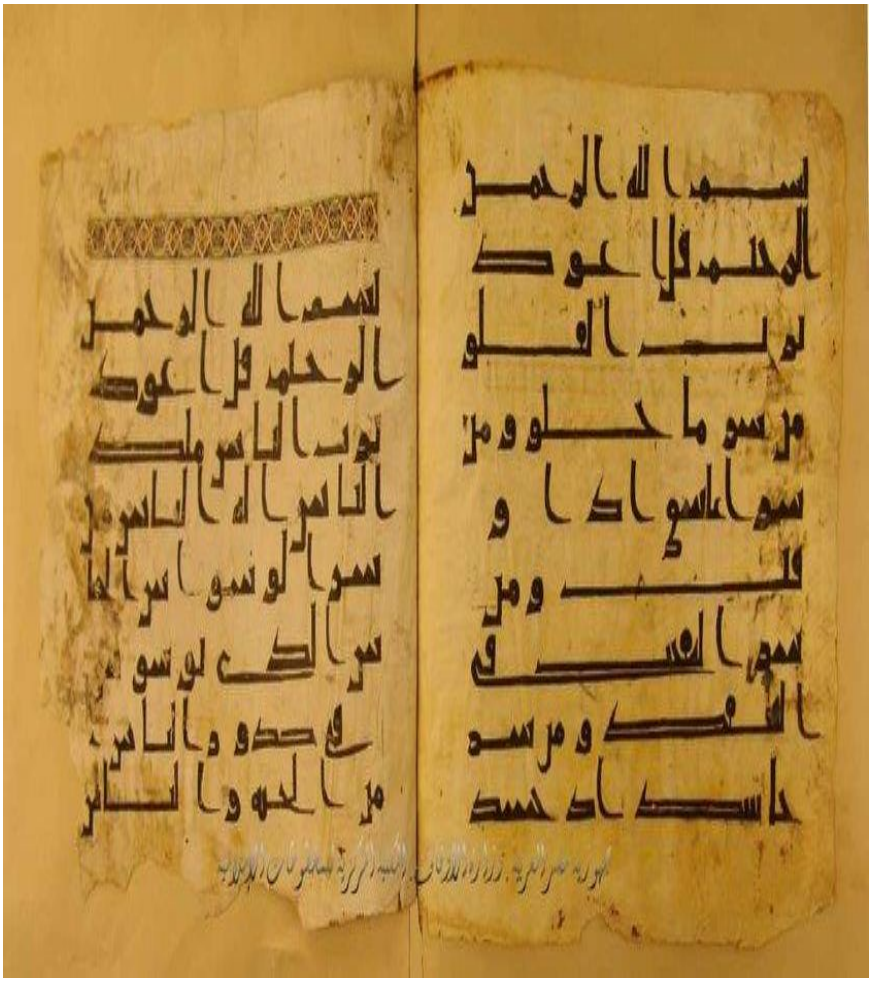

المصدر: المؤلف ابن الصائغ وفاروق سعد، السنة1997م، ص62

الشكل 2: ورقة مصحف منقوط على طريقة الدؤلي

المصدر: المؤلف محمود عباس، السنة 2000م، ص 139

الشكل 3: مراحل النقط: التجريد –النقط–الإعجام–الشكل

المصدر: المؤلف عادل الألوسي، السنة 2008م، ص66

الجدول1: تأثير الإعجام والشكل في توجيه الكلمة

الآية	رواية حفص	رواية ورش	وجه الاختلاف
البقرة ٢: ٥٨	نَّغْفِرْ	يُغْفَرْ	اختلاف ضمير الفعل
البقرة ٢: ٢٥٩	نُنْشِزُهَا	نُنْشِرُهَا	احتمال لمعاني مختلفة
الإسراء ١٧: ٣٨	سَيِّئُهُ	سَيِّئَةً	اختلاف للمعنى
الفرقان ٢٥: ٤٨	بُشْرًا	نُشُرًا	احتمال لمعاني مختلفة
الأحزاب ٣٣: ٦٨	كَبِيرًا	كَثِيرًا	الحجم أم العدد

المصدر: المؤلف محمود عباس، السنة 2000م، ص 144

تحليل النتائج:

ما خلص إليه البحث نتائج هامة تتعلق بالكتابة العربية سواء كانت رسم المصاحف أو الكتابة الإملائية، ويمكن تحليلها على النحو التالي:

1- وجوب الإعجام والشكل في المصاحف وجوبا شرعيا، أما الكتابات الأدبية أو الديوانية فالإعجام ضرورة لتوصيل المعاني، والشكل مكروه إلا ما أشكل أو أبهم؛ وذلك أن الخطأ في المصاحف يترتب عليه لحن يجر إثما ووزرا، بينما الخطأ في الكتابات يفسد التواصل الصحيح.

2 - الإعجام والشكل اصطلاح ويبقى باب الاجتهاد مفتوحا لمن تأهل في إبداع نمط آخر من النقط؛ بما أنه شهد تطورا وتجديدا عبر عصور، أملته ظروف معينة يمكن تجاوزها اليوم أمام هذا الزخم والكم الهائل من التكنولوجيات التي تذلل كل صعب، وتنمي كل مبادرة وفكرة.

3 - الرجوع إلى التراث وإعادة قراءة ما كتب، على ضوء ظاهرتي الإعجام الشكل، وتصحيح التحريفات والتصحيفات التي سببها تجريد الكتابة من هاتين الظاهرتين.

4- تنقية التفسير من الوجوه الضعيفة التي جاء عليها بعض هذا الإعجام والشكل، وإن تعلق بها بعض القراءات؛ فيمكن قراءة القرآن الكريم بها، والاستغناء عنها في استنباط المعاني والأحكام.

خاتمة:

وأخيرا كتتمة لنتائج البحث السابقة، يقترح أن تشكل هيئة إسلامية تشرف على بحوث واقتراحات؛ لايجاد حل لاكتظاظ الحروف العربية بالنقط إعجاما وشكلا حتى يتسنى للكتابة العربية ولوج البرامج الالكترونية وتطبيقات الإعلام الآلي، على غرار الكتابات الأخرى، حيث أن الكتابة العربية من أكثر الكتابات تنقيطا؛ مما يصعب على متعلميها إتقانها والمهارة في ممارستها.

كما يوصي البحث الدارسين إلى إجراء دراسة معمقة وجدية للكشف عن مكانة الكتابة العربية معجمة ومشكلة بين الكتابات الأخرى والمقارنة بينها، ومدى تأير ذلك على استيعابها بين مختلف الشعوب، أم أن العكس هو الحاصل أن الإعجام والشكل يلعب دورا هاما في تبسيط الكتابة وتسهيلها.

الهوامش:

[1] السريان هم ورثة شعوب العراق القديمة كالآرام والآشور؛ وهو اسم اطلق عليهم بعد اعتناقهم المسيحية. ينظر: إقليميس يوسف وداود مطران، اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية، مطابع الأدباء، دمشق. 1986. ص9.

[2] ابن النديم محمد بن يعقوب، الفهرست. بيروت. 1978م. ص12، الكردي محمد طاهر، تاريخ الخط العربي وآدابه، ط 1، مصر:المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكين.1939 م. ص 75.

[3] المارغني إبراهيم بن أحمد، دليل الحيران على مورد الظمآن، ط1، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث للنشر والتوزيع، 2011م. ص292.

[4]الداني عثمان بن سعيد، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة أحمد، ط2، مصر: دار الفكر. 1986م . ص 3.

[5] تطور الكتابة الخطية العربية (دراسة لأنواع الخطوط ومجلات استخدامها)، محمود عباس حمودة، ص 99 . 102.

[6] الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص 2.

[7] الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص 3.

[8] الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص23، الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، 75.

[9] نفسه.

[10] الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص23.

[11] هو ظالم بن عمرو بن سفيان، أبو الأسود الدؤلي قاضي البصرة، أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، أخذ القراءة عن علي بن أبي طالب . رضي اله عنه . أول من وضع علم النحو ومسائله (ت69هـ). ينظر: الذهبي شمس الدين، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط2، القاهرة: مؤسسة الرسالة. 1988م. ج1، ص154.

[12] عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ط1، القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، 2009م. ص 65 . 66.

[13] الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص86 .87.

[14] الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص4.

[15] الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص 19 . 20. الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص 86 . 87.

[16] هو يحيى بن يعمر (ت 129 هـ). ينظر ترجمته في: الحموي ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1993 م. 06/2836 . 2837.

[17] هو نصر بن عاصم بن عمرو بن خالد الليثي، قارئ ومحدث كبير (ت 89هـ). ينظر ترجمته في: الذهبي، طبقات القراء، 336/2.

[18] نفسه.

[19] الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص85.

[20] القلقشندي أحمد بن علي، مصر، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية. 1383هـ. 50/3، الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص85.

[21] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة. ص 224.

[22] الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص19. الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص86.

[23] الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص 3.

[24] الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص82.

[25] الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص23.

[26] نفسه.

[27] هذه المناسبة غابت عن نقط الدؤلي، فمثلا: ترمز الشدة لرأس الشين، وهي اختزال من لفظ (تشديد). ويرمز السكون لرأس الخاء، وهي مختزلة من لفظ (تخفيف). وهمزة القطع لرأس العين، وهي مختزلة من لفظ (قطع). ينظر: الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص7. الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص82.

[28] هو أحمد بن موسى بن عباس بن مجاهد، حافظ وقارئ كبير، أول من سبّع القراءات (ت324هـ). ينظر: الذهبي، معرفة القراء، 433/2.

(29) الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص23.

(30) نفسه.

(31) الزيلعي عبد الله بن يوسف، نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية (كتاب الكراهة). بيروت: دار الكتب العلمية، 174/6. أبن أبي شيبة، المصنف، كتاب الصلاة (2/ 236 ج6/ 150).

(32) إسناده صحيح، وانفرد السجستاني بتخريجه. ينظر: السجستاني عبد الله بن أبي داود، المصاحف. ط1، بيروت:دار الكتب العلمية. 1405 هـ. المجلد1، 523/3.

(33) و في رواية الداني: أن يزيدوا في الحروف أو ينقصوا. ينظر: الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص11.

(34) السجستاني، المصاحف، مجلد1،ج227/3. السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن. ج.2، بيروت: دار عالم الكتب. 483/2.

(35) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 483/2.

(36) الداني:المحكم في نقط المصاحف، ص11.

(37) الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص13.

(38) نفسه.

(39) نفسه.

(40) الفارسي الحسن بن عبد الغفار، الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1 بيروت – لبنان- دار الكتب العلمية، 2007م. ج2 ، ص95 . 96.

(41) الطبري ابن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان. ج5، ص 4207 . 4208.

(42) نفسه.

(43) القرطبي محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، ط1، القاهرة – مصر: دار الغد الجديد، 2010م. 13/ 202.

(44) الفراء يحي بن زياد، معاني القرآن، ط2، بيروت،عالم الكتب، 1980. 3/ 29.

(45) الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، 4 / 303.

(46) الطبري، جامع البيان في فسير القرآن، 9/ 7528.

(47) ابن الجوزي جمال الدين، زاد المسير في علم التفسير، ط3، بيروت، المكتب الإسلامي، 1984م. 1/ 248 . 249.

(48) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، 6/ 4867.

(49) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 5/ 221.

(50) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، 7/ 5477.

(51) ابن كثير إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط1، الجزائر، دار الإمام مالك. 2006م. 3/ 431.

(52) الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، 343/3.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.
ابن الجوزي جمال الدين، زاد المسير في علم التفسير. (ط3، بيروت: المكتب الإسلامي، 1984م).
ابن الصائغ عبد الرحمن، رسالة في الخط وبري القلم. تحقيق: فاروق سعد، (ط1، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1997م).
ابن النديم محمد بن يعقوب، الفهرست. (بيروت: د.ن.، 1978م).
ابن كثير إسماعيل، تفسير القرآن العظيم. (ط1، الجزائر: دار الإمام مالك، 2006م).
إقليميس يوسف وداود مطران، اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية. (دمشق: مطابع الأدباء، 1986.)
الألوسي عادل، الخط العربي نشأته وتطوره. (ط1، القاهرة: مكتبة الدار العربية، 2009م).
جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية. (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.)
حموده محمود عباس، تطور الكتابة الخطية العربية. دراسة أنواع الخطوط ومجالات استخدامها. (ط1، القاهرة: دار الوفاء، 2000م).
الحموي يعقوب، تاريخ الأدباء. تحقيق إحسان عباس، (ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993م).
الداني عثمان بن سعيد، المحكم في نقط المصاحف. تحقيق: عزة أحمد،(ط2، القاهرة، دار الفكر، 1986م).
الذهبي شمس الدين، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (مصر: مؤسسة الرسالة، 1988م).
الزيلعي عبد الله بن يوسف، نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية (كتاب الكراهة). (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.)
السجستاني عبد الله بن أبي داود، المصاحف. (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405هـ.)
السيوطي جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن. (بيروت: دار عالم الكتب، د.ت)
الطبري ابن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، (بيروت: دار المعرفة، د.ت.)
الفارسي الحسن بن عبد الغفار، الحجة في علل القراءات السبع. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، 2007م).
الفراء يحي بن زياد، معاني القرآن. (ط2، بيروت: عالم الكتب، 1980).
القرطبي محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: حامد أحمد الطاهر، (ط1، القاهرة: دار الغد الجديد، 2010م).
القلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشا في صناعة الإنشا. (مصر، دار الكتب المصرية، 1383هـ).
الكردي محمد طاهر، تاريخ الخط العربي وآدابه. (ط1، مصر: المطبعة التجارية الحديثة السكاكين، 1401هـ).
المارغني إبراهيم بن أحمد، دليل الحيران على مورد الظمآن. (ط1، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث للنشر والتوزيع، 2011م)